مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية . المجلد 14 العدد 2 جويلية 2023م - محرم 1445هـ
ص ص: 149 – 162

❁ جوانب التّميّز والإبداع في التّأليف
من خلال الإنتاج العلمي لأبي العبّاس أحمد بن يحيى الونشريسي(ت.914هـ)

Aspects of excellence and creativity in authorship
Through the scientific production
Of Abu Al-Abbas Ahmed bin Yahya Al-Wancharisi (d. 914 AH)

ط د. محمد لامين زيان خوجة*
جامعة الجزائر 1 بن يوسف بن خدة، كلية العلوم الإسلامية – خروبة (الجزائر)
amineziane35@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2023/01/12 تاريخ القبول:2023/01/15 تاريخ النشر: 2023/07/30

ملخص:

أبو العبّاس أحمد بن يحيى الونشريسي من أبرز علماء الجزائر الذين لهم إسهامات عظيمة وجهود كبيرة في ميدان المعرفة والعلم، يتّضح ذلك جليًّا من خلال مؤلّفاته القيّمة وإنتاجاته البديعة المتميّزة، بل تميّزت مؤلّفاته بالإبداع والتّميّز في جوانب عدّة، فلذلك كانت محلّ إعجاب وإكبار ومحطّ أنظار من قبل العلماء والباحثين، وتهدفُ هذه المداخلة إلى إبراز جوانب الإبداع والتّميّز في هذه المؤلّفات القيّمة.

الكلمات المفتاحية: الونشريسي؛ جوانب؛ التميّز؛ الإبداع؛ مؤلّفات.

Abstract:

Abu al-Abbas Ahmed bin Yahya al-Woncharisi is one of the most prominent scholars in Algeria who has made great contributions and efforts in the field of knowledge and science. Scientists and researchers, and this intervention aims to highlight the aspects of creativity and excellence in these valuable publications.

Keywords: Wancharisi; aspects; creativity; Excellence; Authors.

* المؤلف المرسل

1. مقدمة:

أبو العبّاس أحمد بن يحيى الونشريسي –رحمه الله تعالى– من أبرز علماء الجزائر الذين لهم إسهامات عظيمة وجهود كبيرة في ميدان المعرفة والعلم، يتّضح ذلك جليًّا من خلال مؤلّفاته القيّمة وإنتاجاته البديعة المتميّزة، فقد خلّف ثروة علمية قيّمة من أبرزها كتاب: «**المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب**»، وكتاب: «**إيضاح السّالك إلى قواعد الإمام مالك**»، وكتاب: «**المنهج الفائق والمنهل الرّائق والمعنى اللائق بآداب الموثّق وأحكام الوثائق**» وغيرها من المؤلّفات النّفيسة، ولم تكن مؤلّفاته –رحمه الله– كحال الكثير من المؤلّفات والدّواوين التي انتشرت في زمن الجمود الفكري والتي لم تخرج عن سَنن من قبلها ولم تأت بشيء جديد من حيث طريقة التّأليف، بل تميّزت مؤلّفاته بالإبداع في جوانب عدّة، فلذلك كانت محلّ إعجاب وإكبار من قبل العلماء والباحثين؛ فقد أثنوا الثناءات البديعة على إنتاجه العلمي مستفيدين منه غاية الاستفادة، وتهدفُ هذه المداخلة إلى إبراز جوانب الإبداع والتّميّز في هذه المؤلّفات القيّمة.

الإشكالية: بناء على ما تقدّم يُمكن طرح هذه الأسئلة:

– هل حقيقة يُعدُّ أبو العباس الونشريسي من الأعلام المتميّزين في التّأليف؟

– ما هي أبرز مؤلّفاته وإنتاجاته العلمية؟

– ما القيمة العلمية لمؤلّفاته؟

– ما جوانب التّميّز والإبداع في مؤلّفاته؟

خطّة البحث:

مقدّمة: وفيها بيان أهمّية الموضوع، وإشكاليته، وخطّته.

أوّلًا: ترجمة مختصرة لأبي العبّاس الونشريسي.

ثانيًا: التّعريف بأبرز مؤلّفاته وإنتاجاته العلمية.

ثالثًا: جوانب التّميّز والإبداع في مؤلّفاته.

الخاتمة: وفيها أهمّ النّتائج المتوصّل إليها.

2.ترجمة أبي العبّاس الونشريسي:

2-1 اسمه ومولده:

هو أبو العبّاس أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن عليّ الونشريسي الأصل، وُلد بجبال الونشريس[1]، وتحديدًا بمنطقة الحجاولة بلدية الأزهرية حاليًا ولاية تيسمسيلت، ولم تحدّد المصادر زمان مولده، لكن يمكن تقديرها بما ذكره أحمد التنبكتي بأنّه توفّي سنة (914هـ) وعمره نحو ثمانين سنة[2]، فعليه تكون سنة مولده حوالي سنة (834هـ).

1.1.2 نشأته ورحلته:

نشأ أبو العبّاس الونشريسي في تلمسان، حيث انتقل إليها مع والده في طفولته المبكّرة، وتفقّه بها على كبار فقهائها وأخذ كثيرًا من العلوم التي كانت تدرّس في ذلك الوقت، وفي أوّل محرّم من سنة 847هـ لمّا بلغ الأربعين من عمره غادر تلمسان إلى فاس على إثر حادثة حصلت له مع السّلطان فغضب عليه، ونُهبت داره ممّا اضطرّه إلى الخروج من تلمسان مكرهًا[3].

2.1.2 شيوخه وتلامذته:

لقد أخذ الونشريسي العلم عن أكابر علماء تلمسان التي نشأ بها، فكان ينهل من علوم مشايخها، وقد أثبت الونشريسي الشيوخ الذين تتلمذ على أيديهم في كتابه الوفايات!، وفي مقدّمتهم: أبو الفضل قاسم بن سعيد العقباني (ت 854هـ)، والفقيه المحقّق أبو سالم إبراهيم بن قاسم العقباني (ت880هـ)، كما أخذ عن الفقيه العلّامة أبي عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم العقباني التلمساني (ت871هـ)، وعن أبي عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن عيسى العباسي التلمساني (ت871هـ)، وغيرهم.

---

(1) يُنظر: شهاب الدّين المقرّي، أزهار الرياض في أخبار عياض، (65/3).

(2) أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، (ص136).

(3) المصدر السّابق، (ص135).

كما كان لهذا العالم الكبير جملة كثيرة من الطّلبة يتزاحمون عنده لينهلوا من علمه، ولقد تخرّج عليه جماعة من الفقهاء ممّن لازمه، منهم: ابنه أبو محمد عبد الواحد بن أحمد الونشريسي(ت955هـ)، وأبو عبد الله محمد بن محمد ابن الغرديس التّغلبي (ت899هـ)، وأبو زكريا يحيى بن مخلوف السوسي الشيخ الفقيه(927هـ)، وأبو محمد الحسن بن عثمان التاملي الجزولي (ت932هـ).

2.2 مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

لقد شهد كلّ من ترجم للإمام الونشريسي بغزارة العلم وعلوّ الكعب ودقّة الفهم، فقد كان عليمًا أديبًا، وفقيها متضلّعًا، وخطيبًا مصقعًا، ومُنشأً بارعًا، ومما جاء في مدحه والثّناء عليه:

– قال ابن غازي: لو أنَّ رجلًا حلف بطلاق زوجته أنَّ أبا العبّاس الونشريسي أحاط بمذهب مالك أصوله وفروعه لكان بارًّا في يمينه ولا تطلّق عليه زوجته؛ لتبحّر أبي العبّاس وكثرة اطّلاعه وحفظه[4]!.

– قال المنجور عنه أيضًا أنّه كان يتقن علومًا كثيرة، إلّا أنّه انقطع عن تدريس الفقه واشتغل به حتّى يقول من لا يعرفه: إنّه لا يحسن غيره، وكان فصيح اللّسان والقلم حتّى كان بعض من يحضر تدريسه يقول: لو حضره سيبويه لأخذ النّحو من فيه![5].

–وقال عنه ابن عسكر: الشيخ الإمام العالم العلّامة المصنّف الأبرع، الفقيه الأكمل الأرفع، البحر الزّاخر، والكوكب الباهر، حجّة المغاربة على أهل الأقاليم!، وقال عنه أيضًا: كان رحمه الله من كبار العلماء الرّاسخين، والأئمة المحققين![6].

وفاته: توفي الونشريسي رحمه الله بفاس سنة (914هـ) عن نحو ثمانين سنة.

---

[4] دوحة النّاشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، ابن عسكر الشفشاوي، تحقيق: محمد حجي: (ص 47).

[5] فهرس أحمد المنجور، تحقيق: محمد الحجي، (ص50).

[6] دوحة النّاشر، (ص 48).

3.مؤلّفات أبي العبّاس الونشريسي وجوانب التّميّز والإبداع فيها:

1.3 التّعريف بأبرز مؤلّفاته وإنتاجاته العلمية:

يُعدُّ الونشريسي واحدًا من الأئمة المكثرين في التّأليف، وهذا ليس بغريب على عالم تصدّر للإفتاء ووُصف بأنّه أحاط بمذهب مالك أصوله وفروعه، وكان تحت تصرّفه مكتبة تلميذه أبي عبد الله الغرديسي التي توارثها عن رجال وبيوتات عُرفوا بالعلم[7]، وهذا ما جعله يخلّف إنتاجًا علميًا معتبرًا خلال عمر ليس بالقصير. ولقد كان التّأليف مجالًا هامًّا بذل فيه الونشريسي جانبًا كبيرًا من جهده العلمي، وقد أثمر هذا الجهد العديد من المؤلّفات في الفقه وقواعده، وهي موزّعة بين مخطوط ومطبوع، ومن أشهر مؤلّفاته:

-كتاب: **المعيار المعرب والجامع المُغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب،** وهذا العنوان لهذا الكتاب هو الذي نصَّ عليه الونشريسي في مقدّمة كتابه[8]، وقد أشار أيضًا إلى تاريخ انتهائه منه، فقال: وكان الفراغ من تقييده مع مزاحمة الأشغال وتغيير الأحوال يوم الأحد الثامن والعشرين لشوال عام واحد وتسعمائة.[9].

وهذا الكتاب هو من أشهر كتبه، وأكثرها ذيوعًا وشهرة، وأضخمها مادّة وحجمًا، وبه ارتبطت شهرته، وهو كتاب غزير العلم كثير الفوائد، وقد انبهر به العلماء وانطلقت أقلامهم بالثناء عليه وعلى مؤلّفه، قال عنه ابن مريم: جمع فأوعى وحصّل فوعى[10]، وقال عنه ابن عسكر: ألّف المعيار المعرب، جمعه في سبعة أسفار، فاق به الأوائل والأواخر[11]، وقال عنه ابن القاضي المكناسي: تأليف عظيم القدر في الفتوى[12].

---

[7] يُنظر مقال: من أعلام تلمسان: أبو العبّاس أحمد الونشريسي 834-914هـ/ 1430-1508م: سيرة ومسيرة، لامية زكري، مجلّة عصور الجديدة، ع.10، جويلية 1434هـ/ 2013م (ص66).

[8] المعيار المعرب، (1/1).

[9] المصدر نفسه، (395/12).

[10] البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم، ص. 54.

[11] دوحة الناشر، (ص 48).

[12] يُنظر مقال: موسوعة المعيار: للإمام أحمد بن يحيى الونشريسي! مجلة المعيار، المركز الجامعي تيسمسيلت، ع.1، جوان 2010، الأستاذ: أحمد بناني (ص.28).

وصف الكتاب ومضمونه:

كتاب المعيار المعرب! هو موسوعة فقهية ومدوّنة كُبرى قلَّ نظيرها في المذهب المالكي، اشتملت على نحو من 2135 فتوى أصدرها علماء الغرب الإسلامي ما بين القرن الرّابع والعاشر الهجريين، وقد بيّن المصنّف غرضه من تأليفه فقال: " جمعت فيه من أجوبة متأخريهم العصريين ومتقدميهم ما يعسر الوقوف على أكثره في أماكنه، واستخراجه من مكامنه؛ لتبدّده وتفريقه، وانبهام محلّه وطريقه..."[13]

وقد جمع فيه مصنّفه النوازل الفقهية في شكل أبواب تتّصل بتعامل الأفراد، وتهمّ شؤون المجتمع، وقد أثار فيه مسائل ثقافية واجتماعية واقتصادية وعقائدية، وقد ذكر تحت كلّ باب مجموعة من الفتاوى المتعلّقة به، ورتّبها حسب تبويبات الفقهاء، يبتدئ بنوازل الطّهارة وينتهي بنوازل الأقضية والشهادات والدّعاوى والأيمان، ثمَّ ذيّل ذلك بجامع في مسائل متفرقة في التفسير وعلوم الحديث والتّصوّف.

-كتاب: **إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك!**، وهذا الكتاب ضمَّنه 118 قاعدة، وهي قواعد اختلف في تفسيرها فقهاء المذهب، يبتدئُ بقاعدة: الغالب هل هو كالمحقق أم لا؟!، وينتهي بقاعدة: "كلّ ما أدّى إثباته إلى نفيه فنفيه أولى"، وبين هذه وتلك أورد المؤلّف أربعة أقسام من القواعد، أودع في كلّ منها -غالبًا- قضايا متعددة، وفروعًا مختلفة تصلُ في مجموعها إلى نحو ألفي مسألة وصورة جُلّها خلافية.

-كتاب: **المنهج الفائق، والمنهل الرّائق، والمعنى اللّائق بآداب الموثّق وأحكام الوثائق**، وهذا الكتاب في صناعة التّوثيق، وقد بيّن المصنّف غرضه في مقدّمته، حيث قال: "لما رأيت علم الوثائق من أجلّ ما سُطّر في قرطاس، وأنفس ما وُزن في قسطاس، وأشرف ما به الأموال والأعراض والدّماء والفروج تُستباح وتُحمى، وضعتُ مقالة جامعة، في طريقتها المثلى نافعة"[14].

---

[13] المعيار المعرب. (ص1).

[14] نفسه، ص. 2.

وقد ضمّن هذا الكتاب ستة عشر بابًا في صناعة التوثيق وأحكام الوثائق، يبتدئُ بباب في حكم الكتب والإشهاد، وينتهي بباب فيما لا يسع إهماله من عيون الفتاوى في أحكام كلّ باب.

-كتاب: **الوفيات**، ذيّل به كتاب: "**شرف الطّالب في أسنى المطالب**" لابن قنفذ، وقد ترجم فيه لأعلام القرنين الثامن والتاسع للهجرة، مبتدأ من عام (701هـ) حتى عام (912هـ) وركّز أكثر على رجالات الفكر والدّين بالمغرب العربي.

-كتاب: "**أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النّصارى ولم يُهاجر، وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر**"، وهذا الكتاب تناول فيه مسألتين أساسيتين تتفرع عنهما مسائل متعدّدة، فهي تبحث عن بقاء المسلم في بلده الذي غلب عليه الكفار بخاصّة، وحكم الإقامة في بلد الكفر بعامّة، وقد أدرج هذه الرسالة في كتابه: "**المعيار**".

-كتاب: "**الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية**"، وقد تناول فيه الخطط الشرعية في سبع عشرة ولاية، ولعلّه أوسع تأليف في الموضوع.

-كتاب: "**تنبيه الطالب الدّراكِ على توجيه الصلح المنعقد بين ابن صعد والحباك!**، وهي رسالة في ست عشرة صفحة أدرجها في "**المعيار**".

-كتاب: "**الدرر القلائد وغرر الفوائد**" وهو تقييدات المقرّي على ابن الحاجب مع زيادات الونشريسي.

-كتاب: "**نظم الدرر المنثورة وضمّ الأقوال الصحيحة المأثورة في الرّد على من تعقّب بعض فصول جوابنا على نازلة صلح السيفي وابن مدورة!**، وهي عبارة عن رسالة صغيرة أدرجها في المعيار".

-كتاب: "**الأسئلة والأجوبة**"، وهي أجوبة كتبها بتلمسان عن أسئلة شيخه محمد القوري بفاس سنة (871هـ)، أدرج بعضها في المعيار.

-كتاب: **"عدّة البروق في جمع ما في المذهب من المجموع والفروق"**، وقد أشار المؤلّف إلى أنَّ الغرض من تأليفه أن يُستعان به على حلّ كثير من المتناقضات الواقعة في المدوّنة وغيرها من أمّهات الرّوايات[15]، وقد حاذى به أبواب الفقه، يبتدئ بفروق كتاب الطهارة وينتهي بفروق كتاب الجراحات.

-كتاب:" **إضاءة الحلك في الرّد على من أفتى بتضمين الرّاعي المشترك"**، وهو كتاب صغير طُبع بفاس طبعة قديمة في ثمان صفحات ردَّ فيه الونشريسي على الشيخ عبد الرّحمن بن سليمان الحميدي (ت 894هـ).

- كتاب: **"غنية المعاصر والتالي في شرح وثائق القاضي أبي عبد الله الفشتالي"**، وهو شرح لبعض فصول وثائق الفشتالي، وتحرير مواضع الخلاف فيها، وإكمال ما فيها من نقص، مع التَّنبيه على ما وقع فيه المؤلّف من وهم، وتوضيح ما كان هناك من إجمال أو إبهام.

2.3 جوانب التّميّز والإبداع في مؤلّفاته.

- من جوانب تميّزه في التّأليف كثرةُ مؤلّفاته وتعدّدها، ممّا يدلُّ على أنّه ذو جدٍّ واجتهاد في الطّلب والتّحصيل وأنّه ذو باع كبير في العلم والمعرفة، وصاحب قُدرة وبراعة في الكتابة والتّأليف، ولو لم يكن من مؤلّفاته إلّا كتابه الكبير **"المعيار المعرب"** لكفى بذلك فضلًا وشرفًا.

- من جوانب تميّزه في التّأليف أنَّ معظم مؤلّفاته في مواضيع فقهية فروعية أو قواعدية؛ وهذا يدلُّ على تبحّره في الفقهوتمكّنه فيه، واطّلاعه على آراء الفقهاء المتقدّمين والمتأخرين خصوصًا من علماء المالكية.

- من جوانب تميّزه وإبداعه هو في اختياره لعناوين كتبه، حيثُ نجده يختار بعض العناوين الطويلة المشتملة على الكلمات الحسنة والعبارات المسجوعة، كما بالنّسبة لكتابه: **"المعيار المعرب والجامع المُغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب"**، وكتابه: **"المنهج**

[15] المعيار المعرّب، ص. 2.

الفائق والمنهل الرّائق والمعنى اللّائق بآداب الموثّق وأحكام الوثائق"، وكتابه: **"أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النّصارى ولم يُهاجر، وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر"**، وكتاب: **"نظم الدرر المنثورة وضمّ الأقوال الصحيحة المأثورة في الرّد على من تعقّب بعض فصول جوابنا على نازلة صلح السيفي وابن مدورة"**، وهذا الأمر بلا شكّ يدلُّ على براعته في اختيار العناوين؛ ولا يخفى أنَّ العنوان الجميل والمناسب له فائدته العظيمة؛ إذ يجعل النّاظر فيه يتشوّق للاطّلاع عليه والنّظر فيه من أوّل وهلة.

– من جوانب تميّزه وإبداعه في كتابه **"المعيار المعرب"** أنّه من خلال الاطّلاع عليه يظهر للقارئ أنّه لم يقتصر عمله على جمع ألفين ومائة وخمسٍ وثلاثين فتوى أصدرها علماء بلاد إفريقية والمغرب والأندلس خلال الفترة ما بين القرنين الرّابع والعاشر الهجريين، بل تجاوز ذلك إلى تصنيفها وترتيبها والتّعليق عليها وإثرائها بالاستشهادات والتّأصيل بحسب ما تدعوا إليه الحاجة أو ما يقتضيه المقام، مع اهتمام خاصّ بتعدّد الآراء النّاشئة عن مراعاة مختلف الأعراف السّائدة، إلى جانب التّرجيح والتّضعيف والقبول والرّد، كما كانت له فتاوى خاصّة به إضافة إلى تعقيباته[16].

– كما اتّسمت المسائل الواردة في كتاب المعيار بالواقعية، فالونشريسي لم يورد في كتابه المسائل المفترضة أو المحتملة أو التي لم تقع بعد، فكانت نوازل المعيار عبارة عن انعكاسات للواقع والزّمان، وهذا امتداد لفقه الإمام مالك الذي كان يكره الخوض في المسائل التي لم تقع، ويحرص على البحث في المسائل الواقعة فعلًا، فكانت نوازل "المعيار!عبارة عن انعكاسات للواقع والزّمان، فهي تحاكي بلغتها كلّ ما يتعلّق بحياة الأفراد في تلك الحقبة الزّمنية، وتلك الحدود المكانية من الجناح الغربي من العالم الإسلامي، فجاءت هذه النّوازل متنوعة بتنوّع مناحي الحياة، فمنها ما يتعلّق بالعبادات، ومنها ما يتعلّق بجانب المعاملات، وأخرى بالعادات[17].

---

[16] المعيار المعرّب، ص.25.

[17] يُنظر: موسوعة المعيار للإمام أحمد بن يحيى الونشريسي، أمحمد بناني، مجلة المعيار، ع.1، جوان 2010، ص. 28.

– كما اتّسمت النّوازل الواردة في كتاب "**المعيار**" بالمحلّية، فهي متجدّدة بتجدّد الحال، من مكان وزمان وموضوع، ويتجلّى الأمر في غاية الوضوح في المسائل التي تشير إلى وقائع بلدة ما، أو أسماء مفتين، ونسبهم، وبلدانهم، وما يتبع ذلك من ظروف معيشية وبيئية، ممّا يدلُّ على أنَّ السّمة المحلّية هي طابع هذه النّوازل، والأمثلة على ذلك كثيرة في هذا الكتاب[18].

– كما اتّسمت النّوازل الواردة في كتاب "**المعيار**" بالتّجدّد والاستمرار، وذلك أنَّ لكلّ نازلة حيثياتها ومناخها من زمان ومكان، وصلاح وفساد، فهي تختلف باختلاف المكلّفين وبيئاتهم، ممّا يجعل السّؤال عن مسألة واحدة يختلف في بعض جوانبه من شخص إلى آخر، وهذا التّجدّد والاستمرار هو ما أضفى على الفقه الإسلامي مرونته التي استطاع من خلالها مواكبة حياة الناس[19].

– كما أنَّ في كتاب "**المعيار المعرب**" جانب آخر تميّز فيه، وهو الجانب الاجتماعي والتّاريخي، فقد حوى الكثير من الإشارات إلى أحوال المجتمع الإسلامي في هذه المنطقة، من عادات في الأفراح والأتراح، وأنواع الملبوسات والمطعومات، وحالات معيّنة في الحرب والسّلم والعمران وما إلى ذلك، الأمر الذي يجعل منه مصدرًا وثيقًا للمؤرّخ والاجتماعي مثلما هو للفقيه[20].

– وأمّا كتابه: "**إيضاح المسالك**" فقد تميّز بالتطبيق العملي من الكلّ إلى الجزء، ولتنفيذ هذه الخطّة نجد المؤلّف تارة يجعل القواعد هي المدار والمعيار، فيعرض المسائل والصّور الفقهية عليها، فما وجده تنطبق عليه قاعدة ما أدرجه تحتها، وإلّا أبعده وعرضه على قاعدة أخرى، وهكذا دواليك.

---

[18] يُنظر: جهود الونشريسي في تدوين النوازل الفقهية، د. فاطمة الزهراء وغلانت، مخبر الدّراسات الفقهية والقضائية، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، مج.5، ع.2، ربيع الثاني 1440، ديسمبر 2019، (ص21).

[19] المصدر السابق، (ص22).

[20] يُنظر مقدّمة محقّق كتاب"المعيار المعرب" (ج1: ح).

وهذه الطّريقة في الواقع صعبة بعيدة المنال، لا يسلكها إلّا ذووا المهارة الفائقة، والموهبة الخاصّة، لمعرفة مظانّ كلّ مسألة في أبواب الفقه المتعدّدة والمتنوعة، وتشخيصها أمام عينيه كلّها، بحيث تجده يستحضر لقاعدة واحدة –غالبًا– مسائل عديدة من أبواب متنوعة، قد تصل في بعضها إلى نحو ثلاثين مسألة[21]، وهذا يوحي بأنَّ الونشريسي كان له باع طويل واطّلاع واسع في مجال الفقه عمومًا والفقه المالكي بوجه خاص، وموهبة نادرة في معرفة مظانّ كلّ مسألة.

–كما أنَّ هذا الكتاب تضمّن ثروة فقهية غزيرة تجلُّ عن الوصف، وما حوته كلّ قاعدة –غالبًا– من مسائل وفروع فقهية تفوق الحصر –بشكل لم يسبق ولم يلحق له نظير– فيما أعلم؛ فإنّه كاد أن يستوعب ويستقرئ كل المسائل والصّور التي تندرج تحت قاعدة ما، وبالأحرى المسائل الخلافية منها، الشيء الذي يدعو إلى القول بأنَّ هذا النوع من الدّراسة الفقهية وليدٌ، والبحث فيه طريف وجديد، وحُقَّ أن ينسب إلى أبي العباس الونشريسي لما بذل فيه من جمع وتنسيق، وهو مجهود جبّار لا يُنكر.[22]

وقد جمع ونسّق المؤلّف في **"الإيضاح"** خلاصة ولبّ ما تفرّق في عشرات أمهات الفقه، بعد أن حقّق ودقّق جلّ القواعد والمسائل إلى حدّ بعيد، وحرّر الكثير منها أتمّ تحرير، ممّا جعل البعض يصف الكتاب بأنّه: "فلسفة فقهية مفيدة"، وهو تقييم له مغزاه وأبعاده.

وبعد هذا وذاك فلا غرابة إن قلنا أنَّ "**إيضاح المسالك**" نادر الوجود عزيز المثال، قد لا يستغني عنه أيُّ فقيه، أو باحثٌ في أسرار الفقه والتشريع[23].

–أمّا كتابه **"المنهاج الفائق"** فقد اختطَّ الونشريسي فيه منهجًا مميّزًا جمع فيه بين التنظير الفقهي لأحكام الوثائق والتطبيق العملي من خلال نقله لعيون الفتاوى والأحكام، وعرض فتاوى ونوازل كثيرة وخاصّة في الباب السّادس عشر، واقتصر في ذلك على كتابي

---

[21] يُنظر مقدّمة "إيضاح المسالك"(ص99).

[22] المصدر نفسه، (ص100).

[23] المصدر نفسه، (ص101).

النكاح والطّلاق وما يتعلّق بهما، وهما من أهمّ المواضيع التي يجب أن يكون الموثق على علم بها، فجمع بذلك بين العلم النّظري وتطبيقه[24].

ولقيمة هذا الكتاب وتميّزه وإبداعه صار عمدة الموثّقين الذين أتوا بعده، حتّى أنَّ بعضهم نقل أكثر فصوله بالحرف[25]

-ومن جوانب تميّزه في التأليف ما يتعلّق بكتابه: **"عدّة البروق في جمع ما في المذهب من المجموع والفروق"**، حيث أنّه حاول فيه أن يستوفي جموع وفروق كلّ باب من أبواب الفقه في أتمّ تحرير وأكمل بيان[26].

ويُعتبر هذا الكتاب مرجعًا مهمًّا في مقاصد الشريعة باحتوائه على عدد ضخم من الفروق التي تبيّن علل الأحكام بين المسائل، وهو موضوع قلَّ فيه التّأليف بصورة عامّة في الفقه الإسلامي وفي المذهب المالكي خاصّة[27].

-وأمّا كتابه: **"غنية المعاصر والتالي في شرح وثائق القاضي أبي عبد الله الفشتالي"** فيتميّز في كونه حوى فصولًا مهمّة في التّوثيق والأحكام، في غاية التحرير والإتقان، قال الوقلاوي في شأنها: "إنّها من أفضل ما كُتب في الموضوع، ولعلَّ المؤلّف اخترمته المنية قبل إتمامه".[28]

-وأمّا كتابه: **"الوفيات"** فإنّه تميّز في كونه أزاح السّتار عن كثير من أعلام الفكر الذين عاشوا هذه الفترة بالمغرب العربي، وهو عمدة الذين أتوا بعده، وقد أفاد منه التنبكتي في **"نيل الابتهاج"**، وابن القاضي في" **لقط الفرائد"**، وسواهما[29].

---

[24] ينظر: منهج أبي العباس الونشريسي وجهوده في صناعة التوثيق من خلال كتابه "المنهج الفائق" أحمد لشهب، (ص416)، مقدّمة تحقيق كتاب "المنهج الفائق"، (ص118).

[25] انظر: مقدّمة "إيضاح المسالك"، (ص80).

[26] نفسه، (ص78).

[27] انظر مقدّمة "المعيار"، (3/1).

[28] نقلًا من مقدّمة "إيضاح المسالك"، (ص 81).

[29] يُنظر: مقدمة "إيضاح المسالك"، (ص85).

خاتمة:

بعد هذا العرض الموجز لبعض ما تركه أبو العبّاس الونشريسي –رحمه الله– من نتاج علميّ وفير وإبراز بعض جوانب التميّز والإبداع في مؤلّفاته النّفيسة تبيّن للباحث أنَّ هذا العلم من أعلام الجزائر كان بحرًا في العلم والمعرفة واسع الاطّلاع في الفقه كما كان عالمًا محقّقا وناقدًا بصيرًا، وقد حباه المولى سبحانه وتعالى فهمًا ثاقبًا للمسائل ودقّةً في النّظر مع جودة في التّأليف، فلذلك كثُرت مؤلّفاته وإنتاجاته العلمية، وقد برزت كتبه وانتشرت في زمانه، وانتفع بها أهل العلم وطلّابه، وكانت محلّ إعجاب لدى العامّة والخاصّة، فأثنى عليها العلماء الثناءات البديعة، وأشاروا إلى أهمّيتها وقيمتها، فجلُّ مؤلّفاته ظهرت فيها شخصيته وبرزت فيها بصمتُه، بحيث لم يقتصر فيها على مجرّد الجمع والتّدوين والنّقل عن الغير ووضع العناوين، بل إنّه أبدع في كتابتها وتدوينها وبرع في جمعها وتصنيفها، فقد تميّزت كتبه بحسن التّصنيف وجودة التّرتيب، والدّقة في البحث والتّحقيق، مع نقد الأقوال ونفاسة الشّرح والتّعليق، وجمعه بين التّنظير والتّطبيق، وبين التّحرير والتّقرير، إضافة إلى التّصريح باختياراته وترجيحاته.

.قائمة المصادر والمراجع:

- المؤلفات:

- **المعيار المعرب والجامع المُغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ل**أبي العبّاس أحمد بن يحيى الونشريسي(ت914هـ)، خرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدّكتور: محمّد حجّي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية، (1401هـ-1981م).
- **إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام مالك،** لأبي العبّاس أحمد بن يحيى الونشريسي(ت914هـ)، تحقيق أحمد بوطاهر الخطّابي، الرّباط- 1400هـ-1980م.
- **المنهج الفائق والمنهل الرّائق والمعنى اللّائق بآداب الموثّق وأحكام الوثائق،** لأبي العبّاس أحمد بن يحيى الونشريسي (ت914هـ)، دراسة وتحقيق عبد الرّحمن بن حمّود بن عبد الرّحمن الأطرم، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التّراث، الإمارات العربية المتحدة، دبيّ، ط.1، 1426هـ- 2005م.
- **نيل الابتهاج بتطريز الديباج،** لأحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحج أحمد التنبكتي (ت1036هـ)، عناية الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكتاب، ليبيا- طرابلس، ط2- 2000م.
- **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض،** لشهاب الدّين أحمد بن محمّد بن أحمد المقرّي(ت1041هـ)، تحقيق: مصطفى السّقا وآخرين، القاهرة- مطبعة لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، (1358هـ- 1939م).
- **الفهرس،** لأحمد المنجور، تحقيق: محمد حجي، دار المغرب، الرباط، 1396/ 1976.
- **دوحة النّاشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر،** لمحمد ابن عسكر الحسني الشفشاوي، تحقيق: محمد حجي، دار المغرب، الرباط، 1397/ 1977.
- **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان،** لحمد بن محمد بن أحمد الملقب بابن مريم الشريف المليتي المديوني التلمساني، وقف على طبعه واعتنى بمراجعة أصله الشيخ محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، 1336هـ- 1908م.

- **المقالات:**

- موسوعة المعيار للإمام أحمد بن يحيى الونشريسي، أمحمد بناني، مجلة المعيار، المركز الجامعي تيسمسيلت، ع.1، جوان 2010، ص. 28.
- منهج التّأليف في النوازل عند الونشريسي، محمد أمين قادري، مجلة الاستيعاب، ع.4، جانفي 2020.
- من أعلام تلمسان: أبو العبّاس أحمد الونشريسي 834-914هـ/ 1430-1508م: سيرة ومسيرة، لامية زكري، مجلّة عصور الجديدة، ع.10، جويلية 1434هـ/ 2013م
- جهود الونشريسيفي تدوين النوازل الفقهية، د. فاطمة الزهراء وغلانت، مخبر الدّراسات الفقهية والقضائية، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، مج.5، ع.2، ربيع الثاني 1440، ديسمبر 2019.
- منهج أبي العباس الونشريسي وجهوده في صناعة التوثيق من خلال كتابه: المنهج الفائق، أحمد لشهب، مجلة الشّريعة والاقتصاد، جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة، مج.4، ع.7.